انقاذ رفات (*) الرسول الكريم بين الحقيقة والخيال

د . محسن محمد حسين

قسم التأريخ ، كلية التربية ، جامعة بغداد

البحث

تليت على مسامعنا ونحن صغار قصة ، ضمن القصص الدينية ، عن سلطان مدينتنا (السلطان مظفر)[1] في كتب المنقبة النبوية التي كانت تقرأ في المناسبات باللغة الكردية تقول ان هذا السلطان الورع رأى في منامه الزسول الكريم «صلعم» يطلب منه الحضور الى المدينة المنورة لانقاذه من براثن رجلين غريبين ينويان حفر لحده واخراج رفاته الطاهر والتصرف به كما يشاءان . استيقظ صاحب اربيل وفرائصه ترتعد من هول مارأى ، وتعوذ وتبسمل ، وعاوده السهاد . ورأى الحلم ثانية . جلس فزعاً ، فتوضاونام ، ثم حلم بمثل مارأى ، فاستيقظ ولم ينم بعده . لان مارآه اشبه بالرؤيا منه بالحلم . فقرر أن يغادر بلاده بعد أن شاور بعض اتباعه – وسافر الى المدينة ، ومعه مقدار من المال وبعض الرجال .

وصل الى المدينة وطلب من الناس أن يجتمعوا ليوزع عليهم المال ، فاحتشدوا ، وراح السلطان يعطي كل واحد منهم شيئاً منه ، بعد أن يفحص كنانتهم عله يعثر بينهم على الرجلين الغريبين الذين رآهما في منامه ، ولم يكن الرجلان حاضرين ، لأنهما خشيا أن يفتضح أمرهما وتظهر حقيقتهما . اصر السلطان على احضار كل من في المدينة ، فقيل له : لم يبق أحد سوى رجلين غريبين ، وهما لايقبلان صدقة أو مالاً من أحد ، لانهما من الاغنياء ، وقد انقطعا عن الدنيا لخدمة الضريح الشريف .

في جو المنقبة النبوية المعبق بالعطور ورائحة الشاي والاضوية الساطعة ، والنداء بالصلاة على سيدنا محمد ، نتلهف – نحن الحضور – صغاراً وكباراً للاستماع الى ماسيجري في القصة ، رغم أننا كنا نعرف ماسيجري ، فقد سمعناها مراراً ، منذ أن شبت اظافرنا ونتابع الحوادث ونعرف منها أن السلطان إنشرح صدره حين تناهى الى سمعه خبر وجود هذين الرجلين ، فطالب باحضارهما في الحال ، وحين مثلا أمامه بدأ باستجوابهما الا أنهما أنكرا التهمة ، وأعلنا أنهما قدما للحج ، ولاشأن لهما بما يقوله السلطان ، عندها ذهب بنفسه الى الضريح الطاهر ، ووجد الاثار الدالة على جرمهما ، وعثر على السرداب المفضي الى اللحد «الحجرة الشريفة» وقد غطياه بالحصير للحيلولة دون انكشاف اعمال الحفر وليستكملا عملهما الخطير بروية . فما كان من السلطان الا وأمر بضربهما ضرباً مبرحاً ، فلم يجدا بداً من الاقرار والاعتراف على مانويا فعله .

هنا يتخيل الحضور قبر سلطان مدينتهم ، الذي كان ذات يوم يحكم اربيل ، ويرقد الان في إحدى الزوايا القريبة من القلعة ويتأمل عمله المجيد الذي تميز به بين أقرانه الملوك والسلاطين المسلمين في كل زمان . ونتابع الحكاية التي تنتهي بالاقتصاص من الغريبين جراء نواياهما العدوانية التي لاتغتفر . وقبل أن يغادر السلطان المدينة المنورة يقوم ببناء ضريح محكم ويصب حواليه بمادة الرصاص للحيلولة دون تكرار هذه العملية النكراء ، ثم عاد الى اربيل . نكبر ويتسع معنا الحلم ويكبر مغزاه . اذن فاربيل فعلت شيئاً مجيداً في تاريخها الاسلامي تستحق عليه الشكر والخلود ، ممثلة بحاكمها البار الذي ازداد اعجاباً به وتقديساً للمكان الذي يحوي رفاته ، والذي تهرع اليه

(*) لا يليق وصف الرفات (الحطام : المنجد) لجسد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كاروان ١٣٧

الذي يقول في الحديث الصحيح الذي رواه ابو داود والنسائي وابن ماجة [illegible] تابع الحـ

(إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) . ص

سيرة منه وأكثر تحرياً للعدل والانصاف . وأن مجلسه كان كصفة مجلس رسول الله (صلعم) ، مجلس حكم وحياء ، لايذكر فيه الا العلم والدين واحوال الصالحين ، والمشورة في امر الجهاد وقصد بلاد العدو (الصليبي)[٨] . وحين مات نور الدين محمود سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤م دفن معه ثلاث شعرات من شعر لحية الرسول (صلعم) ، وينبغي لمن يزور قبره في دمشق «أن يقصد زيارة شيء منه «صلعم» ولهذا فالدعاء عند قبره مستجاب» . هكذا يصف التاريخ هذا الرجل . اذن فحاكم هذه صفاته تليق به قصة الحلم والزيارة ، أكثر من غيره ، أكثر من (السلطان مظفر) ، وأكثر من صلاح الدين بن ايوب الذي خلف نور الدين في حكم الشام ، اضافة لحكمه لمصر .

أتممنا قراءة تفاصيل الحلم ، ومافعله نور الدين محمود حين استيقظ في المرة الثالثة ، وشاور وزيره جمال الدين الموصلي ، وطلب منه الوزير أن يسرع في الذهاب الى المدينة المنورة لتنفيذ المهمة التي انيطت به في الحلم ، ورأينا أن الحلم والمهمة ومافعله في المدينة شبيه ، بل مطابق لما نسب الى (السلطان مظفر) .

والمدهش حقاً ان هذه القصة تجدها في مصادر متاخرة اي في كتب الفت بعد وفاة نور الدين بفترة تصل الى اكثر من قرن ونصف. واقدم هذه الكتب حسب علمنا- هو ماصنفه (محمد احمد بن خلف الانصاري المعروف بجمال الدين المطري) المتوفي (سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م) في كتاب سماه «التعريف بما انست الهجرة من معالم دار الهجرة[٩]» ذيل به كتاب (الدرة الثمينة في تاريخ المدينة) وذكر في كتاب قصة الحلم والزيارة[١٠] . ونقل هذه القصة من جمال الدين المطري المؤرخ (بدر الدين بن تقي الدين الاسدي) المعروف بـ(ابن قاضي شهبة) الدمشقي المتوفى سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م في كتابه «الكواكب في السيرة النورية[١١]» اي سيرة نور الدين محمود، ونقلها ايضا (حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري) المتوفى سنة ٩٩٠هـ/١٥٨٢ في كتابه «تاريخ احوال أنفس نفيس[١٢] ، كما نقلها (ابو الفلاح عبد الحي) المعروف بـ(ابن العماد الحنبلي) المتوفى سنة ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م في كتابه (شذرات الذهب في أخبار من ذهب[١٣]).

وكذلك ذكر القصة بشيء من التفصيل مؤرخ ثان هو نور الدين ابو الحسن علي بن القاضي عفيف الدين عبد الله المصري المعروف بـ(السمهودي) المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م في كتابه (وفاء الوفا باخبار دار المصطفى[١٤]» الذي خصه للكلام عن تاريخ المدينة المنورة. وقد نقل [الديار بكري] المذكور هذه الرواية[١٥] (اضافة الى رواية المطري المختصرة المذكورة.

كل هذا ولاتذكر المصادر المعاصرة لنور الدين محمود شيئاً عن موضوع الحلم والزيارة وانقاذ رفات الرسول الكريم، فلم يتحدث المؤرخ الشهير ابن الأثير الجزري شيئاً لا في كتابة المعروف (الكامل في التاريخ) ولا في كتابه (الباهر في التاريخ الأتابكي) الذي خصه للحديث عن اسرة عماد الدين زنكي والد محمود، والذي تحدث فيه بتفصيل شديد عن الاعمال العمرانية (العسكرية والعلمية والدينية الخيرية) التي اقامها هذا الحاكم العظيم بينها الاسوار العديدة التي شيدها في مختلف مدن الشام ، وكذا المدارس والجوامع والبيمارستانات (المستشفيات) والخانات والابراج ودار الحديث والخانقاهات[١٦] ، وكذلك لم يتحدث المؤرخ ابن الجوزي في كتابه (المنتظم في تاريخ الملوك والامم[١٧]) عن موضوع الزيارة.

وينطبق هذا على المؤرخين القريبين من عصر نور الدين نذكر منهم (سبط ابن الجوزي[١٨] و (ابن العديم[١٩]) و (ابن خلكان[٢٠]) و (ابو شامة[٢١]) و (ابن واصل[٢٢]) وغيرهم. وحتى بين المؤرخين المتأخرين ممن تحدث عن دولة نور الدين محمود لم يتطرقوا الى قصة الزيارة نذكر منهم (ابن كثير) و (ابو الفداء) و (ابن الوردي) من مؤرخي القرن الثامن ، وبعدهم (ابن خلدون و (المقريزي) و (ابن تغري بردي) ، وكذلك الفاسي المكي الذي خص كتابه (العقد الثمين في تاريخ البلد الامين) للحديث عن زوار المدينة المنورة من كافة الطبقات .

ومن المؤرخين المحدثين الذين كتبوا عن سيرة هذا المجاهد دون ان يشيروا الى هذا الموضوع الدكتور حسن حبشي في كتابه (نور الدين والصليبيون[٢٣]).

والدكتور حسين مؤنس في كتابه (نور الدين محمود[٢٤]) ، والدكتور عماد الدين خليل في كتابه (نور الدين محمود الرجل والتجربة[٢٥] ، هذا اضافة الى الكثيرين الذين كتبوا عن فترة الحروب الصليبية . ان عدم تطرق المحدثين الى الحدث المنسوب الى نور الدين ليدل اما على عدم اطلاعهم على موضوع الحلم والزيارة، او انهم لم يهتموا به اساساً، وهذا مستبعد ، نظراً لأهمية الحدث ليس حدث الحلم، بحد ذاته، وانما حدث الزيارة والقيام بتحصين اطراف الضريح حين أمر نور الدين «باحضار رصاص عظيم وحفر خندقاً عظيماً الى الماء حول الحجرة كلها، واذيب ذلك الرصاص وملىء به الخندق فصار حول الحجرة سورا رصاصا الى الماء[٢٦]» ، ثم تحصين المدينة المنورة نفسها حين انفق نور الدين مبالغ طائلة على بناء السور المحيط بالمدينة ، ولحفظ سكانها وماشيتهم، حسب المصادر المذكورة[٢٧].

أيعقل ان يقوم نور الدين محمود بهذا العمل الهام ، ولايتطرق اليه -في

لاقى- بن الاثير. وهو الذي ذكر دقائق الاعمال -حتى الصغيرة منها- التي قام بها هذا السلطان الشهير؟

و يعقل الايتطرق الى هذا العمل المؤرخ الفاسي المكي - وهو الذي اشار الى كافة الاعمال العمرانية التي قام بها اي كان من المسلمين في هذه المدينة المقدسة؟ ايعقل الأيذكروا عملاً من اجل الاعمال يقوم به رجل من اجل رجل في مدينة الرسول ، «رجل كان في الاولياء معدوداً من الاربعين[٢٨]» ؟

وهذا مايجعلنا ننفي قيام اي من الرجلين (مظفر الدين گوگبورى ونور الدين محمود» بهذه الزيارة. ولكن نظراً لجلال مكانة نور الدين محمود، هذه المكانة التي تزداد اجلالاً بعد وفاته. مما يضفي عليه المزيد من الحب والاحترام كلما توغل في اعماق التاريخ ، نقول نظراً لهذه المكانة، رأى المؤرخون اللاحقون (المتأخرون) ان من غير المناسب او اللائق ان يكون ثمة رجل في مستواه ولم يقم بزيارة مثوى الرسول الكريم، فاكان منهم الا ورتبوا له زيارة تنسجم مع مستواه، زيارة ينبغي ان يسبقها حلم، حلم يرى فيه الرسول يستنجد به لينقذ رفاته، ويختاره دون بقية حكام العالم الاسلامي ، فيلبى نور الدين محمود النداء مع الفجر، ويأخذ طريقه نحو المدينة. فدخلت الزيارة وموضوع الحلم المهيب الى التاريخ كحقيقة واقعة في كتب بعض المؤرخين المتأخرين، وهي غير حاصلة .

ياعجبي كم من احداث من هذا النوع، نسب بطريقة او اخرى، إلى المعديدين، وتداوله الناس دون روية وتمحيص؟

ومادامت المسألة بهذه الشاكلة -احياناً- فلماذا لاتنسب القصة إلى غير نور الدين محمود ايضاً ؟ فما كان على كُتاب المولد النبوي في اربيل الا ونسبوها الى سلطان مدينتهم ايضاً، وصارت القصة تقرأ- الى عهد قريب، وربما لحد الان- في مناسبات المولد. وهذا أمر لم يكن استثناء ، فقد سبق لاهالي اربيل -ومن يدري ربما لبعض المؤرخين ايضاً- ان نسبوا قبر والده (زين الدين علي كوچك بن بكتكين) الشاخص لحد الآن في مدينة اربيل الى السلطان مظفر الدين كوكبورى نفسه[٢٩] . ونرى انه إذا قُدر أن يُنسَبَ قبر اميركبير بمستوى زين الدين علي كوچك الى غيره، رغم ان هذا الغير هو ابنه . يستطيع ان يفعل الشئ ذاته بالقصة المذكورة ، وينسبها الى السطان مظفر الدين . وهذا ماحصل فعلاً .

اذن وفي سياق هذه القصة، نسأل: ياترى هل جرت محاولة من قبيل اخراج الرفات الطاهر من مثواه ؟ الجواب على مثل هذا السؤال ، وحسب معرفتنا . هو ان فترة الحروب الصليبية، ولاسيما خلال الحملات الاولى ، بين الحملات الثمانية التي استغرقت حوالي القرنين (١٠٩٧-١٢٩١م) جعلت الصليبيين المحتلين تتصاعد لديهم وتيرة روح التعصب ضد المسلمين . هذه الروح التي كانت غريبة على سكان المنطقة الاصليين- مسلمين ومسيحيين - كما تشهد بذلك حوادث التاريخ . وهذا التعصب دفع الصليبيين الى التحرش بالمقدسات الاسلامية وهل ثمة ماهو أقدس من مزار الرسول الكريم؟ إذن ليكن هذا هو هدفهم كلما ستطاعوا الى ذلك سبيلا . حين يصبح بوسعهم ارتكاب مثل هذه الفعلة .

تخبرنا المصادر ان أحد الامراء الصليبيين واسمه (رينو - ريجنالد - دي شاتيون) الفرنسي ، والمعروف في المصادر العربية باسم (ارناط) عرف عنه تعصبه الشديد وسلوكيته الرعناء حتى وصفه احد المؤرخين الاوربيين بانه كان نموذجاً للفارس اللص في الجشع وعدم الوفاء والغدر والوحشية والتعصب . وكان بذلك اشد زعماء اللاتين مغامرة واكثرهم غدراً[٣٠] .

مما حدا بالملك المجاهد نور الدين محمود ، حين اسره ، ان يسجنه مدة خمس عشرة سنة من سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م الى سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م ، اي ان (ارناط) كان ما يزال سجينا حين توفي نور الدين محمود سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣ ، ثم اطلق سعد الدين كمشتكين وحكام الموصل سراحه نكاية بخصمهم صلاح الدين الايوبي خليفة نور الدين ، عندها غادر الامير الصليبي سجنه وتزوج ارملة أمير صليبي كان صاحب حصن الكرك . ومن هذا الحصن المنيع الواقع في الجنوب الشرقي من البحر الميت - في الطريق الذي يوصل الاقسام الجنوبية من بلاد الشام (الاردن) ببلاد مصر . بدأ (أرناط) بقطع الطريق على المسلمين ، ليس على القادمين والذاهبين من والى مصر ، بل وطريق الحجاج الذاهبين الى ارض الحجاز ، ثم بدأ مع شلة من أعوانه بالزحف على المدينة المنورة «في حادثة تسد المسامع شناعة وبشاعة ، لأنهم عزموا على الدخول الى مدينة الرسول (ﷺ) واخراجه من الضريح المقدس»[٣١] وامر قراصنته بانزال سفنهم في ميناء العقبة على رأس الخليج ، وبدأوا بنهب ميناء عيذاب على الساحل المصري من البحر الاحمر ، ثم حاصرت هذه السفن ميناء ايلات وسارت في اتجاه مدينة الرسول . الا ان صلاح الدين اوعز إلى قواته وقائد بحريته الشجاع حسام الدين لؤلؤ بتعقيب المعتدين . وقد فزع المسلمون اشد الفزع لمشاهدتهم الصليبيين في هذه المنطقه وبهذه المباغتة «وما ظن المسلمون - حسب قول بعض المؤرخين - الا انها الساعة ، اي القيامة ، إذ لم يسبق لهم مشاهدة مثل هذا الوضع ، او ان يعهدوا ببحرهم تاجراً اوربيا ، ولا دخل عليهم صليبي . وبهذا الصدد قال ابن جبير وغيره ان الصليبيين احدثوا حوادث لم

يسمع مثلها في الاسلام ، ولاوصل قبلهم رومي الى ذلك الموضع ، فانه لم يبق بينهم وبين المدينة النبوية سوى مسيرة يوم واحد ، ومضوا الى الحجاز يريدون المدينة النبوية .[٣٢] (١)

لاذت الفلول الصليبية بالفرار براً- امام النجدات التي بعثها صلاح الدين تاركين سفنهم، فلحقت بهم قوات حسام الدين لؤلؤ، فأبادت قسماً منهم ، واسرت قسماً آخر ، اما «أرناط» فقد نجا بنفسه ، في حين ارسل اثنين من الاسرى الى «مِنى» في مكة للاقتصاص منهما . اما باقي الاسرى فقد تم استعراضهم في مدينة الاسكندرية بمصر والمدن الاخرى ليشهر بهم وهم يمتطون الابل والحمير ووجوههم الى اذنابها . وكان الرحالة الشهير (ابن جبير) حاضراً هذا المشهد .

ومني «أرناط» بهزيمة نكراء- وذهبت أتعابه ، التي استمرت أشهراً كثيرة ، ادراج الرياح ، وعاد الى قلعته في الكرك كذئب كسيح يلعق جروحه ، كما يقول هارولد لامب[٣٣] . عاد الى حصنه لكن همته لم تفتر ، وبدأ يعاود الكرة في الاغارة على القوافل . فقرر صلاح الدين ان يقتص منه . فكان ان قتله بيده غداة إنتصار حطين العظيم ، كما تؤكد على ذلك كافة المصادر . يقول (ابن العديم) كان صلاح الدين قد نذر مرتين إن ظفره الله به ان يقتله ، احداهما لما اراد المسيرة الى مكة والمدينة وبعثرة قبرالنبي (ﷺ) ، والمرة الاخرى حين غدر بالقوافل المترددة بين مصر والشام ، وقال لرجال القوافل المسلمين ساخراً : «قولوا لمحمد يجئ وينصركم !»[٣٤]

ان هذه المحاولة الشنيعة التي قام بها هذا الصليبي ظلت عالقة في اذهان المسلمين والفضل في قمعها يعود الى صلاح الدين ورجاله الشجعان ، ولاسيما بحريته المقتدرة وقائدها المحنك المذكور . ومن ثم فان النصوص السابقة تؤكد على انه لم يسبق لأحد من الصليبيين ، قبل ارناط ورهطه ، أن تجرأ ووصل الى هذه المنطقة ، وقد قمع صلاح الدين محاولته وانقذ قبر النبي (ﷺ) بالصورة المذكورة ، لكن دون ان يزور المدينة المنورة ، وكانت الزيارة (الحج) امنيته التي لم تتحقق ، وعن هذا الموضوع تحدث كاتب سيرته بهاء الدين ابن شداد قائلاً : كان صلاح الدين «لم يزل عازماً (على الحج) ونياوياً له ، ولاسيما في العام الذي توفي فيه ، فانه صمم العزم عليه ، وامر بالتأهب ، وعملت الزوادة ، ولم يبق الا المسير فاعتاق عن ذلك بسبب ضيق الوقت ، وفراغ اليد عما يليق بامثاله ، فأخره الى العام المقبل ، فقضى الله ما قضى ، وهذا شئ أشترك في العلم به الخاص والعام»[٣٥] . وهذا يعني أنه لم يتفق لأحد من هؤلاء الثلاثة من القادة ان يزور المدينة سواء في موسم الحج ، او غيره ، وبالتالي لم يتم انقاذ ضريح الرسول الكريم لابيد السلطان (مظفر الدين ، كما رواه كتاب المنقبة النبوية ، ولابيد الملك العادل نور الدين محمود كما تذكر ذلك بعض المصادر التاريخية المتأخرة ، بل تم بيد القائد العظيم صلاح الدين ابن ايوب ، كما تجمع على ذلك مصادر ذلك العصر ، وبالصورة التي اوردناها ، كما انه نفذ بيده حكم الاعدام على من سولت له نفسه ارتكاب مثل تلك الفعلة الشنيعة .

الهوامش

(١) هو السلطان مظفر الدين گوگبرى «گوگبورى» ابو سعيد ، ابن زين الدين علي كوچك بن بكتكين بن محمد صاحب اربيل (اربل يومئذ) انظر ترجمته في (وفيات الاعيان) وكتاب (مظفر الدين كوكبري) للدكتور عبد القادر طليمات ، وكتاب (اربيل في العهد الاتابكي) لصاحب البحث

(٢) ابن الشعار ، مخطوط (عقود الجمان) ، جـ ٥ ص ١٥٦ .

انظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ترجمة مظفر الدين گوگبورى، سبط ابن الجوزي ، مراة الزمان ، جـ ٨ ص ٦٨١، الفاسي المكي ، شفاء الغرام ، جـ ٧ ص ١٠٥

(٣) انظر مقالنا «قلعة اربيل ودورها في الدفاع عن المدينة» في كراس «موضوعان في التاريخ الكردي» منشورات جمعية الثقافة الكردية . مطبعة الحوادث بغداد ١٩٧٦ وباللغة الكردية في مجلة (كلية الاداب» جامعة بغداد لسنة ١٩٧٩ .

(٤) اشارة إلى كتاب ابن المستوفي نباهة البلد الخامل ، بمن ورده من الاماثل ، في تاريخ اربل»

(٥) ابن خلكان ٣ / ١٢٢ و ٣ / ٢٧٥ ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣ / ١٣٧ الفاسي المكي ، شفاء الغرام ٧ / ١٠٥

(٦) كتابنا (اربيل في العهد الاتابكي) ص ١٨٩ - ١٩٢

(٧) ابن المستوفي (تاريخ اربل) قسم ١ ص ٢٨٣

(٨) انظر مثلاً ابن الأثير : الباهر ، ١٧٣ والكامل

ابن واصل : مفرج الكروب : ١ / ٢٨٥

ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية ص ٣١ / ٣٢

(٩) طبع هذا الكتاب سنة ١٣٧٢هـ ، وقام بتحقيقه الشيخ محمد بن عبد المحسن الخيال ، القاضي بالمدينة المنورة .

(١٠) وقصة الحلم هي كالتالي : «ان السلطان نورالدين محمود رأى النبي (ﷺ) ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول له في كل مرة : يامحمود انقذني من هذين الشخصين ، يشير الى شخصين اشقرين تجاهه . فاستحضر [محمود] وزيره قبل الصبح فذكر له ذلك ، فقال له : هذا أمر قد حدث في مدينة النبي (ﷺ) ليس له غيرك ، فتجهز وخرج على عجل بمقدار حمل بعير وما يتبعها من خيل وغير ذلك حتى دخل المدينة على غفلة من اهلها والوزير معه . وزار وجلس في المسجد لايدري مايصنع . فقال له الوزير : اتعرف الشخصين إذا رأيتهما ؟ قال : نعم . فطلب الناس عامة للصدقة وفرق عليهم ذهباً كثيراً وفضة ، وقال : لايبقين احد بالمدينة الا جاء . فلم يبق الا رجلان مجاوران من اهل الاندلس نازلين في الناحية التي تلي قبلة حجرة النبي (ﷺ) من خارج المسجد عند دار ال عمر بن الخطاب (رض) التي تعرف اليوم بدار العشرة . فطلبهما للصدقة فامتنعا وقالا : نحن على كفايه مانقبل شيئا . فجد في طلبهما فجئ بهما . فلما راهما قال للوزير : هما هذان . فسألهما عن حالهما وماجاء بهما ؟ فقالا : لمجاورة النبي (ﷺ) . فقال : اصدقاني ، وتكرر السؤال حتى افضى الى معاقبتهما ، فأقرا انهما من النصارى وانهما توصلا لكي ينقلا من في هذه الحجرة المقدسة باتفاق ملوكهم . ووجدهما قد حفرا نقبا من تحت الارض من تحت حائط المسجد القبلي ، وهما قاصدان الى جهة الحجرة الشريفة ويجعلان التراب في بئر عندهما في البيت الذي هما فيه . فضرب اعناقهما عند الشباك الذي في شرقي حجرة رسول الله (ﷺ) خارج المسجد ، ثم احرقا بالنار اخر النهار وركب متوجهاً الى الشام . فصاح به من كان نازلاً خارج السور [سور المدينة] واستغاثوا وطلبوا أن يبنى عليهم سوراً لحفظ أبنائهم وماشيتهم .

(١) واستطرد (ابن جبير في رحلته بالنادر) إلى حادث تاريخي معروف ، ومفحواه أن جماعة من الصليبيين شيدت مركب نقلتها من الشام إلى البحر الأحمر على ظهور الجمال ثم انزلتها في عيذاب وعاثت فيه فساداً ، بل أرادت أن تهاجم الأراضي المقدسة ، وأشاعت أنها عازمة على غزو الحجاز وتخريب قبر الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لولا أن قضى عليهم الأطول المصري .

عُمر بناء هذا السور الموجود اليوم ، فبني في سنة ٥٥٨ وكتب اسمه على باب البقيع ، فهو باق الى تاريخ هذا الكتاب . والله اعلم.

المطري . التعريف بما انست الهجرة ، ص ٧٦ / ٧٧

(١١) انظر هذا الكتاب في ص ٧٢ – ٧٣ . وقد حقق ونشر هذا الكتاب الدكتور محمود زايد . طبع بيروت ١٩٧١

(١٢) انظر هذا الكتاب جـ ٢ ص ٣٦٤ – ٣٦٥ . طبع هذا الكتاب في المطبعة الوهبية بالقاهرة ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م

(١٣) انظر هذا الكتاب جـ ٤ ص ٢٣٠ . طبع في القاهرة . مطبعة القدسي ، سنة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١م .

(١٤) طبع هذا الكتاب في القاهرة . مطبعة السعادة .تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .ويقع في اربعة أجزاء .

(١٥) الدياربكري ، تاريخ الخميس ، جـ٢ ص ٣٦٣ – ٣٦٤

(١٦) الباهر ، ص ١٧٠ – ١٧١

الكامل ١١ / ٤٠٤

(١٧) كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والامم جـ ١٠ ص ٢٤٨ – ٢٤٩

(١٨) كتابه (مراة الزمان) جزء (٨)

(١٩) ابن العديم الحلبي الذي وجه اهتمامه نحو تاريخ حلب عاصمة دولة نور الدين محمود الزاهرة ، في كتابه (زبدة الحلب من تاريخ حلب)

(٢٠) ابن خلكان الاربلي في ترجمته لنور الدين محمود .

(٢١) ابو شامة مؤلف «كتاب الروضتين في أخبار الدولتين» يقصد دولة نور الدين محمود ودولة صلاح الدين يوسف بن ايوب .

(٢٢) ابن واصل الذي خصص الجزء من كتابه (مفرج الكروب) للكلام عن دولة زنكي وولده نور الدين محمود .

(٢٣) طبع دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٨ .

(٢٤) مطبعة مصر القاهرة ١٩٥٩

(٢٥) طبعة دار القلم دمشق – بيروت ١٩٨٠

(٢٦) الدياربكري ، تاريخ الخميس ، جـ٢ ص ٢٦٤

(٢٧) المطري ، التعريف بما انست الهجرة ، ص ٧٧ .

ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدرية ، ص ٧٣ .

الدياربكري ، تاريخ الخميس ، جـ٢ ص ٣٦٤ .

(٢٨) الدياربكري ، تاريخ الخميس : ٢ / ٣٦٥

(٢٩) انظر كتابنا (اربيل في العهد الاتابكي ، ص : ٢٠٧ – ٢٠٨

ومقالنا (مدفن السلطان مظفر الدين بين الحقيقة والوهم) مجلة (كاروان) العدد (١) تشرين الاول ١٩٨٢

(٣٠) King . The Knights Hospitallers .I I I

وانظر عن رينودى شاتيون (هارولد لامب ، شعلة الاسلام) ص ٩٤ – ٩٥

(٣١) ابن جبير ، الرحلة ، ص : ٣٥ .

(٣٢) ابن جبير : ن . ص . الكامل ١١ / ٤٩٠

المقريزي ، السلوك جـ ١ قسم ١ ص ٧٨ / ٧٩

(٣٣) شعلة الاسلام ، ص :٩٦

(٣٤) زبدة الحلب : ٣ / ٩٦

وانظر النوادر : ص ٧٨ والروضتين : ٢ / ٨١

(٣٥) ابن شداد ، النوادر ، ص : ٩

(المصادر)

١) ابن الأثير ، عز الدين علي بن ابي الكرم محمد الجزري الشيباني (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل . تحقيق د . عبد القادر ، احمد طليمات ، طبعة دار الكتب الحديثة . القاهرة ١٩٦٣ .

٢) ابن الأثير نفسه : الكامل في التاريخ . طبعة دار صادر – دار بيروت ، لبنان – ١٩٦٥

٣) ابن جبير ، ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧م) رحلة ابن جبير ، دار صادر – دار بيروت ، لبنان ١٩٦٤

٤)ابن الشعار ، ابو البركات كمال الدين المبارك بن ابي بكر حمدان (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦م) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان . مخطوط مصور عن النسخة الفريدة الموجودة في مكتبة السليمانية – استانبول .

٥) ابن العماد ، ابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مطبعة القدسي . القاهرة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م .

٦) ابن قاضي شهبة ، ابو الفضل بدر الدين محمد بن تقي الدين الاسدي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م) الكواكب الدرية في السيرة النورية . تحقيق د . محمود زايد . بيروت ١٩٧١

٧) ابن المستوفي ، ابو البركات شرف الدين المبارك بن احمد الاربلي (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م) نباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل (تاريخ اربل) تحقيق د . سامي بن السيد خماس الصقار . وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٨٠

٨) ابو شامة ، ابو محمد شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ، مطبعة وادي النيل ١٢٨٧ / ١٢٨٨

٩) الديار بكري ، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢م) تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس ، المطبعة الوهبية . القاهرة ١٢٨٣ هـ

١٠) السمهودي ، نور الدين علي بن احمد بن عفيف الدين المصري (ت ٩١١ هـ / ١٥٨٢م) وفاء الوفا باخبار دار المصطفى . تحقيق محمد محي الدي بن عبد الحميد .مطبعة السعادة . القاهرة ١٩٤٨ .

١١) الفاسي المكي ، ابو الطيب تقي الدين محمد بن احمد بن علي الحسني (ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨م) العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ، تحقيق فؤاد سيد وآخرون.

مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٩ – ١٩٦٩ .

١٢) المطري ، ابو عبد الله جمال الدين محمد بن احمد (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) التعريف بما انست الهجرة من معالم دار الهجرة .

تحقيق الشيخ محمد بن عبد المحسن الخيال . ط ١٣٧١ (مكان الطبع بلا)

١٤) المقريزي ، ابو العباس تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٥ م) السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق د . مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٤ .

مصادر حديثة

١٥) د . محسن محمد حسين

اربيل في العهد الاتابكي (اطروحة ماجستير) مطبعة اسعد . بغداد ١٩٧٦

١٦) كذلك

موضوعات في التاريخ الكردي . مطبعة الحوادث . بغداد ١٩٧٦

١٧) مقال : مدفن السلطان مظفر الدين بين الحقيقة والوهم .

مجلة (كاروان) العدد (١) تشرين الاول ١٩٨٢

١٨) هارولد لامب ، شعلة الاسلام . ترجمة محمود عبد الله يعقوب . مطبعة الارشاد . منشورات مؤسسة فرانكلين ودار المتنبي . بغداد ١٩٦٧

١٩) King (E.J.), The Knights Hospitallers in the Holy Land, London, 1931 .

٢٠) اضافة الى الكتب الواردة في الهوامش (١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥) .